MC2CM

MEDITERRANEAN CITY-TO-CITY MIGRATION

دراسة حالة المدينة

لشبونة

«REFUGI.ARTE EM MARVILA» (لاجئون وفنّ في مارفيلا)، لشبونة:
الدمج الاجتماعي والمكاني للاجئين والمهاجرين الاقتصاديين

من تنفيذ

UN HABITAT FOR A BETTER URBAN FUTURE

UCLG United Cities and Local Governments

ICMPD International Centre for Migration Policy Development

تمّت صياغة دراسة الحالة هذه ضمن إطار مشروع الهجرة بين المدن المتوسطية، وهو مشروعٌ من تنسيق المركز الدولي لتطوير سياسات الهجرة وتمويل الاتحاد الأوروبي والوكالة السويسرية للتنمية والتعاون. يُطبّق هذا المشروع منذ العام ٢٠١٥ بالتعاون مع مدن عمّان، وبيروت، ولشبونة، وليون، ومدريد، وطنجة، وتونس، وتورينو، وفيينا بهدف تعزيز قاعدة المعارف المتعلقة بالهجرة الحضرية. فضلاً عن ذلك، يسعى المشروع إلى تعزيز الحوار بين النظراء وترسيخ التعلّم المتبادل حول التحدّيات التي تواجهها المدن، مثل التماسك الاجتماعي والمكاني، والحوار بين الثقافات، والتوظيف، وتوفير المأوى والخدمات الأساسية للاجئين والمهاجرين الاقتصاديين وغير ذلك. في هذا الإطار، اختارت بلدية لشبونة دراسة الحالة هذه بهدف عرض ممارسةٍ تساهم في دمج المهاجرين اجتماعياً ومكانياً على المستوى المحلي.

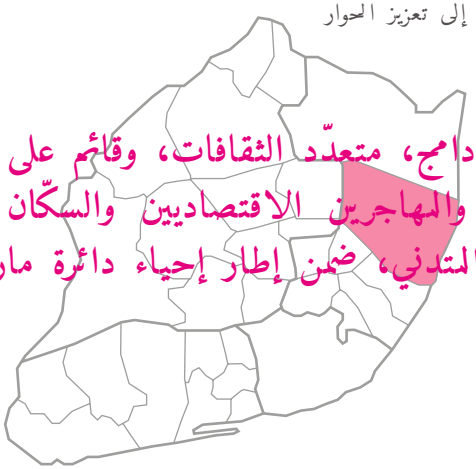

تصميم مأوى دامج، متعدّد الثقافات، وقائم على الفنّ، يستقبل اللاجئين والمهاجرين الاقتصاديين والسكّان المحليين ذوي الدخل المتدني، ضمن إطار إحياء دائرة مارفيلا

نبذة

«لاجئون وفنّ في مارفيلا» هي مبادرةٌ لتصميم مأوى دامج وقائم على الفنّ لاستقبال اللاجئين والمهاجرين الاقتصاديين والسكّان ذوي الدخل المتدني في منطقة مارفيلا، الواقعة في الناحية الشرقية من بلدية لشبونة. تترأس المشروع حتى اليوم تعاونيةٌ معماريةٌ محليةٌ تُعرف باسم «نعمل مع الـ٩٩٪» (Working with the 99%). أما الهدف النهائي منه، فهو المساهمة في إحياء شارع مارفيلا والمناطق المحيطة به على نحو دامج وشمولي، من خلال إعادة تأهيل المرفق التراثي التابع للبلدية وغير المستخدم بما فيه الكفاية: قصر ماركيز دو أبرانتيس.

يرتكز هذا البرنامج المرتقب على عمليات تشاركية طويلة المدى سبق ونُفّذت في المنطقة، لا سيّما مشروعين بالغي الصغر تمّ تمويلهما، بدرجة كبيرة، من خلال برنامج بلدي يستهدف الأحياء ذات الدخل المتدني. عام ٢٠١٧، أُرسل هذا البرنامج إلى مجلس البلدية كي يوافق عليه خاصةً في ما يتعلق بما يلي: (أ) منح إذن رسمي باستخدام القصر والمساحات المفتوحة المحيطة به مباشرةً لتنفيذ الأنشطة الثقافية؛ ب) وتغييره وتعديله بحيث يصبح مأوىً ويتمّ استخدامه لأغراضٍ ثقافية. من هذا المنطلق، من المتوقّع أن يجذب هذا البرنامج اهتمام البلدية كونه يتوافق مع النهج الشامل والقائم على الحقوق الذي تعتمده لمنطقة مارفيلا، مركّزاً على اللاجئين بصفتهم إحدى الفئات الاجتماعية الضعيفة المتعدّدة في المنطقة.

المعلومات الأساسية والأهداف

تقع دائرة مارفيلا (٣٧٧٠٠ نسمة، بحسب المعهد الوطني للإحصاء لعام ٢٠١١) في شرق لشبونة (التي تضمّ ٥٤٨ ألف نسمة بحسب المصدر نفسه). وتعتبر هذه المنطقة التي يقسمها خط سكة الحديد لقطارات ما بين المدن إلى قسمين، منطقةً متنوّعةً، حيث تضمّ مشاريع للسكن الاجتماعي، ومنطقة صناعية مهجورة ومباني مهجورة، ومنطقة سكنية مهملة نسبياً، فضلاً عن شارع مارفيلا التي كان شارعاً حيوياً في أوج فترة ازدهاره الصناعي. لكن بعد خطة لشبونة الكبرى وبناء مستشفى حكومي جديد وجسر فوق نهر التاغوس، بما يتوافق مع مبادئ «المركزية المتعدّدة» التي اعتمدها مجلس لشبونة البلدي (منظمة المدن والحكومات المحلية المتّحدة وبلدية لشبونة، ٢٠١٦: ٣٧)، بدأت المنطقة تتأثّر بمنطق سوق العقارات وشهدت خطوات أولية في مجال تغيير الأحياء الفقيرة إلى أحياء سكنية للأغنياء. تتميّز الملامح الاجتماعية لشارع مارفيلا والمناطق المحيطة به بفئات اجتماعية برتغالية محرومة إلى حدّ كبير، فضلاً عن جماعات من أصول أفريقية والأجيال المتحدّرة منها، وبعض الغجر. لكن اتّجاهات السوق وعوامل الدفع والجذب المحلية تشير إلى سيناريوهين متنافسين محتملين يمكن أن يغيّرا الوجه الاجتماعي للمنطقة: فمن جهة، يُلاحَظ استقرار فئات شبابية ثرية في المناطق التي يتمّ تغيير معالمها بالقرب من النهر، ومن جهة أخرى وصول لاجئين ومهاجرين اقتصاديين في حالةٍ من الضعف الشديد.

الأهداف

لبرنامج «لاجئون وفنّ» هدفٌ ثنائي: (أ) تعزيز الدمج الاجتماعي والمكاني للسكّان ذوي الدخل المتدني في شارع مارفيلا والمناطق المحيطة، من خلال عمليات تشاركية، (ب) إيجاد ظروف ملائمة لحوالى ٤٠ لاجئاً ومهاجراً اقتصادياً محروماً، بما يتوافق مع السياسات العامة التي دافع عنها مجلس لشبونة البلدي مؤخراً. ومن المفترض تحقيق هذه الأهداف من خلال تأمين الوصول الجماعي والمشترك إلى قصر ماركيز دو أبرانتيس وتحديث الدائرة وإحيائها. في هذا الإطار، يهدف البرنامج إلى تحدي عمليات رفع المستوى الاجتماعي للأحياء واستغلالها التجاري، سواء المرتقبة منها أم الجارية حالياً، مع اعتماد نهج قائم على حقوق الإنسان، بدءاً بالحق في سكنٍ لائق.

التطبيق

عام ٢٠١٦، استقبل البرتغال ١١٩٤ لاجئاً من أصل ٢٠٦٦ طلباً (مفوضية شؤون اللاجئين، ٢٠١٦: ٦٢)، منهم الكثيرون ممّن وصلوا من سوريا وأفغانستان والعراق وأريتريا والصومال. يعتبر هذا العدد بسيطاً بالمقارنة مع العشرة آلاف لاجئ المتوقّع وصولهم إلى البرتغال بحلول العام ٢٠١٨ بموجب البرنامج الأوروبي. وتجري العادة أن يستقبل المجلس البرتغالي للاجئين أوّلاً هؤلاء اللاجئين، قبل أن يتمّ توجيههم نحو المناطق اللامركزية، الحضرية والريفية، المنتشرة في البلاد. بالنسبة إلى بلدية لشبونة، افتتح مجلس البلدية في أوائل العام ٢٠١٦ مركزاً انتقالياً لاستقبال ما يصل إلى ٣٠ لاجئاً في وقت واحد، مع الإشارة إلى أنّ استقلالية هؤلاء اللاجئين في المستقبل تعتمد على عوامل مختلفة، منها درجة إتقانهم للغة أو مهاراتهم المهنية وفرص العمل المتوفّرة لهم. فضلاً عن ذلك، روّجت لشبونة لبيت الحقوق الاجتماعية و«LX JOVEM SPACE » الواقعين في دائرة مارفيلا، بصفتهما

مساحات للوصول إلى الحقوق الاجتماعية والدمج من خلال المرافق الفنية. تركّز هذه المرافق البلدية على اللاجئين والمهاجرين الآخرين فضلاً عن الأشخاص المتحدّرين منهم، كما إنها تعكس المصالح السياسية التي تشكّل جزءاً لا يتجزأ من مشروع «لاجئون وفنّ في مارفيلا».

يرتكز برنامج «لاجئون وفنّ» المتصوَّر على تجربتين تشاركيتين سابقتين نُفّذتا في الحيّ، بتمويل مشترك من البرنامج البلدي للأحياء ومناطق التدخل ذات الأولوية [BIPZIP]. أطلقت التدخلَ الأول (٢٠١٤) تعاونية «نعمل مع ٩٩٪» ومجموعة «ويرهاوس كوليكتيف»، بالشراكة مع جامعة لوزوفونا وبقيادة جمعية اكسيريم الثقافية. وقد أثمر هذا التعاون عن بناء حديقة مشتركة بين الأجيال في شارع مارفيلا. أما التدخل الثاني (٢٠١٥)، فثمرة شراكة بين تعاونية «نعمل مع ٩٩٪» ومركز هنغار الفني للبحوث، أدّت إلى (أ) تسجيل تواريخ سكّان مارفيلا وتجاربهم، لا سيّما أولئك المنتمين إلى الطبقة العاملة، (ب) وعرّفت السكّان بأوجه الاستخدام المقبلة للمبنى التراثي قصر ماركيز دي أبرانتيس غير المستغل بما فيه الكفاية.

يهدف برنامج «لاجئون وفنّ» إلى مواصلة التبادل الواسع للأفكار حول المحطة المعمارية لإعادة تأهيل قصر ماركيز دو أبرانتيس، وهي خطوةٌ مبتكرة متفرّعة عن العملية التشاركية المذكورة أعلاه. فتمّ عرض المحطة على المجتمع المحلي ومناقشتها معه خلال اجتماعات طاولة مستديرة، فتحت أبوابها أمام جميع الأطراف المعنية. وما لفت الاهتمام أنّ شركاء خارجيين وممثّلين مؤسساتيين من مختلف أقسام مجلس بلدية لشبونة قد شاركوا في النقاشات (وإن بصفة غير رسمية)، فأصغوا إلى مخاوف مختلف الجهات وتمعنوا في الحلول المعروضة. في هذا الإطار، استناداً إلى نجاحات المنهجيات المختبرة، يأمل برنامج «لاجئون وفنّ» المقترح دمج المجتمع المحلي بشكلٍ تدريجي في المشروع الجديد، مع ترسيخ العلاقة الوثيقة والثقة المبنية مع الأشخاص التقنيين. فضلاً عن ذلك، يفترض بهذه المقاربة أن تؤدي إلى توفير فرصٍ لدمج اللاجئين في المحادثات. في الوقت نفسه، سيتمّ تطبيق خطوات جديدة لإتاحة تبادل المعارف الخاصة بكلّ ثقافة، كتنظيم دروس تدريبية على اكتساب المهارات وورش عمل لتعليم الحياطة أو الطبخ أو الأشغال الحرفية.

تهدف كلٌّ من الأنشطة المتعدّدة الثقافات الواردة أعلاه إلى استكمال جهود برنامج «لاجئون وفنّ في مارفيلا»، للمساهمة في إعداد استراتيجية دامجة مرتكزة على ما يلي: (أ) وجود نيّة جماعية (من قبل التقنيين والسكّان المحليين على السواء) تصبّ في مصلحة تنفيذ المشاريع والممارسات التشاركية والدامجة المحتملة؛ (ب) آلية استجابة للتعامل مع التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية القائمة، والحؤول دون انعدام المساواة في المستقبل، مثلاً نتيجة تغيير الأحياء الفقيرة إلى أحياء سكنية أرقى وهي عملية بدأت تتزايد في بعض أحياء منطقة مارفيلا؛ (ج) الصياغة المشتركة للممارسات الاجتماعية والمكانية المشتركة، استناداً إلى تدخلات مبتكرة تتحدى المنطق النيوليبرالي المهمين.

التمويل والموارد

تمّ تنفيذ المرحلتين الأوليين- أي اللتين مهّدتا لبرنامج «لاجئون وفنّ»- بدعمٍ من منحٍ قدّمها البرنامج البلدي للأحياء ومناطق التدخل ذات الأولوية الذي تموّله الحكومة المحلية في لشبونة. ومن المتوقّع أن تموّل البلدية أيضاً ٦٠٪ من

الأعمال المعمارية والهندسية والأعمال الأخرى ذات الصلة بإعادة تأهيل قصر ماركيز دو أبرانتيس وتحويله إلى مركز ثقافي/ مأوى. أما الأربعون بالمئة المتبقية، فسيتمّ تأمينها بدعمٍ من التعاونية، فضلاً عن السكّان والمهاجرين واللاجئين والعلماء، من خلال التطوّع بوقتهم.

النتائج والتأثيرات

لا يمكن تحديد النتائج والتأثيرات لبرنامج «لاجئون وفنّ في مارفيلا» في الوقت الحالي، خاصّةً وأنّه لم يُطلَق بعد وأنه ما زال بانتظار قرار التمويل من مجلس بلدية لشبونة. مع ذلك، من خلال أخذ أهداف هذا البرنامج في الاعتبار، لا سيّما ما يتعلق باستخدام الفنّ كأداة للدمج الاجتماعي، يمكن توقّع تأثيرين أساسيين:

(أ) من المتوقّع أن يساهم بناء مأوى دامج قائم على الفنون للاجئين والمهاجرين الاقتصاديين في إقامة صلة وصل بين شارع مارفيلا والمناطق المحيطة، لا سيّما الأحياء السكنية والمناطق الصناعية المهجورة بالقرب من النهر، مع التشجيع على إحياء هذه المنطقة المتدنية الدخل في الوقت نفسه؛

(ب) من المتوقّع أن يؤدي تمكين المجتمعات المحلية والمهاجرين الاقتصاديين واللاجئين، فضلاً عن تطوير مساحات التلاقي بين المجتمعات المحلية والأجنبية، إلى كبح المعدّلات المتزايدة لكراهية الأجانب.

العوائق والتحديات

تمثّلَ أوّل التحديات بتحويل قصر ماركيز دو أبرانتيس إلى مأوى سكنيّ للاجئين والمهاجرين الاقتصاديين والسكّان المحرومين. فلم تلق هذه الفكرة قبولاً من المؤجّرين في المحلّة، خاصةً أولئك الذين يؤجّرون المنازل المتداعية في الجوار. فقد ادّعوا أنّ ممتلكاتهم ستفقد قيمتها المالية بسبب الصورة السلبية عن اللاجئين المنتشرة بين المهاجرين الاقتصاديين والسكّان المحليين ذوي الدخل المتدني. مع ذلك، نتيجة تنفيذ أنشطة تشاركية متنوّعة في قصر ماركيز دو أبرانتيس وحوله، تمّ تقبّل الفكرة المقترحة ولوحظ التزام إيجابي باستقبال اللاجئين وإيوائهم في المستقبل. شهدت هذه الأنشطة على سبيل المثال مشاركة لاجئين سوريين عرّفوا السكّان المحليين على أطباقهم المحلية وحلوياتهم ونظّموا عروضاً فنيّة سورية. فساعدت هذه الأنشطة وغيرها على بناء جسور من التواصل بين المجتمعات المحلية، كما أدّت إلى مشاركةٍ حيوية من قبل السكّان المحليين.

ومن التحدّيات الجسيمة الأخرى خطر بيع البلدية لمعلمٍ مميّز من معالم التراث الوطني مثل قصر ماركيز دو أبرانتيس. في هذا الإطار، كانت تعاونية «نعمل مع الـ٩٩٪» المنظّمة الأساسية التي طعنت بشكلٍ علنيّ في قرار البلدية باستبعاد هذا الملك الثمين. فأثبت هذا الطعن نجاحه وقرّر المجلس البلدي على إثره تخصيص القصر ومحيطه للاستخدام العام.

أما بالنسبة إلى الحواجز المحتملة في المستقبل، فإنّ انعدام التمويل المطلوب ونسب البلدية فضل المبادرة إليها من دون دعمها فعلياً قد يعرّضان نجاح المشروع برمّته للخطر، كما يهدّدان مشاركة

و/أو استقلالية مجموعات المجتمع المدني التي شاركت فيه بشكلٍ ناشط. فضلاً عن ذلك، نظراً إلى العدد الكبير للاجئين بالمقارنة مع تدني عدد المرافق المقترحة لاستقبالهم في لشبونة، قد يواجه قصر ماركيز دو أبرانتيس ضغوطاتٍ كبيرةً جداً.

الدروس المستخلصة

يعكس التواجد المستمرّ لتعاونية «نعمل مع الـ٩٩٪» في شارع مارفيلا منذ العام ٢٠١٤ أهمية المشاركة الطويلة المدى لتأمين نجاح المشاريع الدامجة. ففي مارفيلا، أدى الحضور والمشاركة على المدى الطويل إلى بناء الثقة مع السكّان المحليين، مما سهّل صياغة الاستراتيجيات على المدى القصير والمتوسط والطويل سعياً إلى دمج هذا الجزء المنسيّ من المدينة بشكلٍ تدريجي.

فضلاً عن ذلك، إنّ مشاركة فريق متعدّد الاختصاصات- واعتماد مقاربة قويّة متعدّدة الثقافات ومرتكزة على الفنون- وسّع آفاق المنطقة وساعد في إبراز إمكانياتها، لا نقاط ضعفها فحسب. في غضون ذلك، أدى التركيز على مشاركة المجتمع المحلي إلى تمكين السكّان المحليين من اعتماد المشروع بشكلٍ تدريجي، وإيجاد أوجه استخدام عام ومشترك لقصر ماركيز دو أبرانتيس، لا سيّما تلك التي تمّ اختيارها لمشروع «لاجئون وفنّ» بمختلف أبعاده.

ركّزت العمليات الماضية، بشكلٍ لافت، على أهمية مشاركة المجتمع المدني المنظّم في صياغة السياسات المحلية المتعلقة بالدمج وحقوق الإنسان، في مدينة تزداد تعدّديةً ثقافيةً يوماً تلو يوم. فبالرغم من تزايد مضاربات سوق العقارات وتحويل وجه الأحياء السكنية في المنطقة، نجح مشروع «لاجئون وفنّ في مارفيلا» في الحصول على دعم دائرة الحقوق الاجتماعية النموذجية في مجلس لشبونة البلدي التي تلتزم التزاماً ثابتاً بدمج اللاجئين والمهاجرين الاقتصاديين (وفق ما أشار إليه مجلس لشبونة البلدي عام ٢٠١٥). فيؤكّد هذا النجاح المؤقت أهمية توفّر الإرادة السياسية ونهج قائم على حقوق الإنسان عند معالجة القضايا ذات الصلة باللاجئين والمهاجرين.

المراجع

- UCLG and City of Lisbon (2016), Social Cohesion and Intercultural and Inter-religious Dialogue: The Role of Local Authorities in Public Policies for the Social Inclusion of Migrants. Lisbon, UCLG and City of Lisbon.

- UNHCR, The United Nations Refugee Agency (2016), Global Trends: Forced Displacement in 2016. Geneva, UNHCR, available at http://www.unhcr.org/5943e8a34.pdf, retrieved 19 December 2017.

- Working with the 99%, available at http://ateliermob.com/tag/working+with+the+99%25, retrieved 3 October 2017.

- Cooperative Working with the 99% (2017), Refugi.Arte em Marvila. Regulation for Granting Support by the Lisbon City Council (RAAML, CML). Lisbon, Cooperative Working with the 99%.

- INE (2011), Censos 2011 – XV Recenseamento Geral da População, V Recenseamento Geral da Habitação. Resultados Definitivos. Lisbon: National Institute of Statistic.

- Lefebvre H. ([1968] 2009), Le Droit à la Ville. Paris, Económica–Anthropos.

- Lisbon City Council (2015), Plano Municipal para a Integração de Imigrantes de Lisboa (2015-2017) - Volume 1. Lisbon, Lisbon City Council.

أعدّ دراسة الحالة هذه كلّ من إيف كابان، وسيلفيا خورخي، وسيلفيا فييغاس بتنسيق من باربرا ليبيبيتز وتيم ويكسون من وحدة التخطيط التنموي في بارليت، وجامعة كلية لندن، ولجنة التضامن الاجتماعي والديمقراطية التشاركية وحقوق الإنسان التابعة لمنظمة المدن والحكومات المحلية المتّحدة، ضمن إطار مشروع الهجرة بين المدن المتوسطية.

بتمويل مشترك من الاتحاد الاوروبي

بتمويل مشترك من

Schweizerische Eidgenossenschaft
Confédération suisse
Confederazione Svizzera
Confederaziun svizra

Swiss Agency for Development and Cooperation SDC

@urban_migration
icmpd.org/mc2cm
mc2cm@city-to-city.org